نظريات التنمية والتخلف

أولاً : مقدمة.

ثانيًا : نظرية التخلف.

ثالثًا : نظريات التنمية.

أولاً: مقدمة:

بعد أن ثبت أن السياحة فى العصر الحديث دعامة أساسية من دعامات التنمية الشاملة ذات الأبعاد المتعددة والمتشابه الجوانب لاتصالها بعدة أنشطة تتفاعل مع غيرها من العوامل الاقتصادية المختلفة ولمساهمتها فى تكوين فائض ميزان المدفوعات وزيادة حصيلة الدولة من العملات الأجنبية وزيادة التوظيف ومضاعفة مواردها عندما تتمتع البلاد بميزات مثل الموقع المتميز ووجود العديد من الموارد السياحية الطبيعية والمنتج السياحى الوفير الذى يتميز بالكثير من المميزات الطبيعية والأثرية والحضارية وأيضا الظروف المناخية المعتدلة على مدار العام والشواطئ الممتدة والمنتجعات والبحر ذوى الحياة البحرية النادرة من الشعاب المرجانية والأسماك النادرة وبالتراث التاريخى والحضارة الممتدة عبر التاريخ.

ولما كان حجر الزاوية فى التنمية الاقتصادية هو النمو المتوازن فإن السياحة يمكن أن تلعب دورا أساسيا فى تحقيق هذا النمو المتوازن بسبب طبيعتها المركبة والتى تشتمل على صناعات عديدة مثل النقل والإقامة والمزارات والأغذية والترفيه وغيرها كما تقوم بتحقيق جانب هام من جوانب التنمية الاقتصادية هو التنمية الإقليمية وذلك بخلق مناطق ومجتمعات عمرانية وسياحية جديدة تساهم فى خلق فرص عمل للمواطنين وتسمح بالاستيطان الدائم لهم.

تنطلق التنمية السياحية أساسا من تعظيم قدرة البلاد على اجتذاب أكبر قدر من حركة السياحة العالمية، وذلك من خلال وضع وتنفيذ الأهداف والسياسات التى ترتكز على الإمكانيات الطبيعية والحضارية أو البشرية والتى تعمل على تحقيق الأهداف واجتياز التخلف وتحقيق التنمية لقد وضع العلماء نظريات لتفسير أسباب التخلف ونظريات أخرى لكيفية اجتياز هذا التخلف وتحقيق التنمية المنشودة، وقد تعددت آراء العلماء إزاء صحة هذه النظريات ومدى ملائمتها لظروف الدول النامية ووجهت

بعض الانتقادات لهذه النظريات ولم تكن محاولات الباحثين والعلماء لوضع هذه النظريات وليدة هذا العصر فقط إنما كانت هناك محاولات مبكرة لتفسير حركة المجتمع وتطوره بدأها ابن خلدون منذ القرن الرابع عشر الميلادى عندما تكلم عن العمران البشرى وأحوال المجتمع الإنسانى واستكملها وأضاف عليها العلماء الغربيين منذ هربرت سبنسر وأوجست كونت وأرنولد توينبى وغيرهم، وجميعها محاولات لتفسير حركة المجتمع وتطوره وتقدمه واجتياز التحدى الذى يمر به. وما كان بروز هذه التفسيرات والنظريات فى العصر الحديث إلا لتفسير وتحليل أسباب التخلف وكيفية التغلب عليه خاصة بعد أن تفاقمت المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وتزايدت وتشابكت وفى مجال السياحة يهمنا عرض وإبراز هذه النظريات للاستفادة منها كخلفية تاريخية من ناحية ولأنها تفسر أسباب التخلف فى المجتمع بوجه عام وطرق التغلب على هذا التخلف وتقدم النظريات أساليب التنمية وأنماطها التى ارتكزت على التنمية الاقتصادية وزيادة الدخل كشرط رئيسى لتحقيق التنمية، والتى ظلت فى فكر الباحثين والممارسين لعقود ليست قليلة بدأت منذ الستينيات وحتى أواخر السبعينيات عندما بدأ الفكر التنموى يتحرر ويدخل متغيرات أخرى إليه (كما سبقت الإشارة فى الفصل الأول) ولأن التنمية السياحية هدفها القضاء على المشكلات الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع ورفع مستوى الدخل القومى وهى مرتكزات أساسية ترتكز عليها بصفة دائمة نظريات التنمية فيصبح من الممكن تطبيق تلك النظريات فى مجال السياحة خاصة إذا ما انطبقت العوامل والظروف السائدة فى المجتمع مع ما تقرره أو تضعه هذه النظرية أو تلك.

ثانيًا: نظرية التخلف:

مفهوم التخلف:

التخلف كمشكلة يعنى حالة مرضية أو وضع غير مرغوب فيه، يسعى المجتمع للتخلص منه والانتقال من وضع إلى وضع آخر مرغوب ومستهدف وهو التنمية.

والتخلف كمفهوم يعنى ضعف الأداء الاقتصادى لبعض البلدان ويعنى أيضا عدم قدرتها على ضمان الحد الأدنى من الرفاهية المادية لغالبية السكان.

ويذهب بعض الكتاب إلى القول بأن التخلف ظاهرة تاريخية نتج عنها وضع اقتصادى واجتماعى متناقض أفرز نموا سكانيا سريعا فى ذات الوقت الذى عجز فيه عن تلبية حاجات النمو السكانى المتزايد.

تفسر بعض النظريات الأسباب الخاصة بالتخلف وترجعها إلى:

١ـ نظرية التخلف بسبب البيئة الجغرافية:

تقوم هذه النظرية كما يقرر الباحثون على أساس تفسير التخلف بسبب البيئة الجغرافية والظروف الطبيعية السائدة والتى يصعب تغييرها فأغلب الدول النامية تقع فى المناطق المدارية والاستوائية التى تتميز بضعف أراضيها وانتشار الأوبئة بها وقلة عدد سكانها وقلة نشاطهم وكما أن تربتها رقيقة تجرفها الأمطار الغزيرة ويصعب استخدام الأسمدة والكيماويات التى تجرفها الأمطار التى تعوق استخدام الأسمدة والمواد الكيماوية بينما معظم الدول المتقدمة تقع فى المناطق المعتدلة.[١]

النقد الموجه لهذه النظرية:

- ويرى الباحثون أن الظروف الطبيعية والجغرافية ليست الوحيدة لتفسير التخلف وذلك لأن وسائل التكنولوجيا والوسائل الصحية الحديثة تساعد فى التغلب على المعوقات السابقة.
- هناك شعوب عاشت فى نفس المناطق المدارية والاستوائية ووصلت فى الماضى إلى درجة عالية من التقدم والمدنية كقدماء المصرين والفرس والعرب والهند والصين.
- هناك دول تعيش فى المناطق المعتدلة وتعد متخلفة كما فى حوض البحر المتوسط وبعض دول أمريكا الجنوبية فكيف يفسر التخلف بها.
- هناك مناطق تعانى من ظروف مناخية صعبة ومع ذلك حققت تقدما كبيرا مثل منطقة سيبيريا فى الاتحاد السوفيتى فقد استطاعت بفضل التقدم والتكنولوجيا أن تصبح مأهولة بالسكان وذات إنتاجية مرتفعة.

---

(١) د. محمد السيد: الإعلام والتنمية الشاملة، القاهرة، دار الفكر العربى سنة ١٩٨٨.

- إن المناطق المدارية تحتكر إنتاج بعض السلع الزراعية الهامة كالبن والشاى كما تمتلك بوفرة الكثير من الموارد الطبيعية كالبترول مما يساعد على تحقيق التنمية ولا شك أن عدم توفر العوامل والمواد الطبيعية ليست هى سبب التخلف الوحيد، لأن موارد المجتمع ليست ثابتة بل قابلة للتغير تبعا للتقدم العلمى والفنى والتكنولوجى الذى يحرزه المجتمع ومن ثم فإن التخلف ليس ثابتا.[1]

٢ـ التخلف بسبب البيئة الاجتماعية:

تقوم هذه النظرية على أساس أن النشاط الاقتصادى لايدور فى فراغ بل يعكس قيما معنوية وحضارية من عادات وتقاليد وثقافة وسلوك وأن هذه القيم والجوانب الاجتماعية تؤثر سلبا وإيجابا على النشاط الاقتصادى بمعنى تفاعل عناصر الإنتاج مع القدرات البشرية والتقدم العلمى.

ومن أمثلة هذه التأثيرات:

عوائق العادات والتقاليد فى الادخار: والتظاهر مثل الإسراف فى الزواج واكتناز الذهب وتجمع فائض من المال لا يستغل فمظاهر الإسراف المختلفة فى المجتمع والمستندة إلى عادات وتقاليد مالية تؤثر على قدرة المجتمع على الادخار.

طبيعة العلاقات الأسرية: وعوائق العلاقات الأسرية المتزمتة والتكتل الأسرى فى العمل بالإضافة إلى تأخر سن العمل للأولاد، قلة أعداد المرأة العاملة، النشاط الاقتصادى المحدود الذى تؤديه.

- انقسام المجتمع إلى طبقات ذات أنماط معيشية واستهلاكية متفاوتة تجعل أسواق الدول النامية تميل إلى التفتت والتمزق نتيجة تباين أنماط الاستهلاك وطرق معيشة كل طبقة وتعارض الأذواق الاستهلاكية الذى يحد من تمام المشروعات الكبيرة ويؤدى بالتالى إلى ارتفاع تكاليف الإنتاج.

---

(١) محمد السيد (المرجع السابق) .

٣ـ نظرية التخلف بسبب الجنس:

تقوم هذه النظرية على التفوق العرقى وتميز الرجل الأبيض بالإبداع والذكاء والتفوق وأن سكان الدول المتقدمة من الجنس الأبيض عدا اليابان.

ويرد على هذه النظرية:

- إن سكان بعض الدول من الجنس الأبيض مازالوا متخلفين فى أمريكا اللاتينية وبعض دول حوض البحر المتوسط.
- إن أبناء الحضارات العريقة القديمة فى الهند والصين ومصر كانوا من الملونين ولم يتهموا بالكسل أو قلة الإبداع.

التقدم الذى حققته اليابان رغم أن اليابانيين من الجنس الأصفر، ولم يقدم العلم الحديث ما يثبت وجود اختلاف طبيعى بين الأجناس من حيث الذكاء أو التفوق.

- إن كثيرا من أبناء الدول النامية عندما يتاح لهم مناخ العمل والتفوق يثبتون ذاتهم.

٤ـ التخلف بسبب الاستعمار:

إن الاستعمار خلق ظروف اجتماعية متخلفة فى المستعمرات أو البلدان التى استعمرت... وأنه لم يطور البيئة الطبيعية فى المستعمرات إلا بالقدر الذى يخدم المصالح المباشرة فقط وأنه حاول أن يرسخ فى الأذهان فكرة تفوقه كرجل أبيض.

وربما تعد نظرية التخلف بسبب الاستعمار من أقرب النظريات إلى الواقع حيث عمد الاستعمار إلى نشر الانبهار بأبناء المستعمرات، وعمد أن تدور مستعمراته فى حلقاته وتبعيته، وأثر فى نظم التعليم وعمل على أن يتخرج فئة من التكنوقراط الذين يخدمون مصالح الاستعمار، ولم يعمل على دفع العلم كأسلوب للحياة بل شجع الجهل والقهر وأثر فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأفراد مستعمراته عامدا متعمدا لأجل أن تمتد فترات الاستعمار، وما تبع ذلك من آثار واستنزاف موارد البلاد ونهب الثروات وتفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية.

٥ـ التخلف بسبب العقيدة:

إن كثير من الأديان السائدة فى مناطق العالم الثالث معوقة لتيارات التقدم الاقتصادى. وهذا القول مناف للحقيقة فالفكر الدينى وخاصة الإسلامى أحرز تقدما

كبيرا فى المجتمعات الإسلامية. فقد ساعد هذا الفكر على بث الروح القومية وكان دافعا للكثير من نواحى التقدم فى هذه المجتمعات وأن مهمة الدين الأساسية هى تحطيم أى قيد يعوق الإنسان، جعله ينطلق نحو مستقبله فالعقيدة حرية، ولا إكراه فى الدين، والحضارة واجب وضرورة، ولا يمكن تصور دين لا يخلق حضارة أو تنمية اقتصادية بناءة تعود على المجتمع بالخير. وإذا هناك خطأ فهو فى تطبيق الدين وفهمه لا فى جوهر الدين نفسه.

ثالثا: نظريات التنمية:

بعد حصول أغلبية البلدان النامية على استقلالها وبدء تطلعها إلى التنمية والاستقلال السياسى والاقتصادى اتجهت هذه الدول إلى التنمية كوسيلة وهدف للخروج من دائرة التخلف وقد وضعت العديد من النظريات التى أوضحت كيف يمكن أن تجتاز هذه الدول تخلفها وتلحق بركب التقدم والتنمية.

والمقصود بنظريات التنمية: النظريات المحدودة أو المتخصصة التى تعالج التنمية فى الدول المتخلفة أما نظريات النمو الاقتصادى فهى النظريات التى تهتم بدراسة اقتصاديات الدول المتقدمة بهدف توضيح الأخطار والمصاعب التى تتعرض لها ومحاولة التغلب عليها.

نماذج من نظريات التنمية:

١- نظرية الدفعة القوية:

يرى بول روز نشتين رودان صاحب هذه النظرية أن القضاء على التخلف يحتاج إلى دفعة قوية أو سلسلة من الدفعات ويشبه التنمية بعملية إقلاع الطائرة.

وهذه الدفعة ضرورية لسببين:

الدفعة القوية تمكن من إقامة صناعات متكاملة ذات إنتاج ضخم للتصدير وإغراق الأسواق والتغلب بالتالى على ضعف الأسواق فى البلدان النامية وضعف القوة الشرائية لأن إقامة الصناعات على أجيال متباعدة يقلل دون الاستفادة منها ويبدد جهود الاستثمار.

إن إقامة الصناعة القوية يحتاج إلى بيئة أساسية قوية فى الرى والنقل والمواصلات

وهذه المشروعات حتى تؤتى ثمارها لابد من إقامتها بدفعة قوية لا على أجيال متباعدة حتى يمكن الاستفادة منها وعدم تبديد ثمارها نتيجة ضيق حجم السوق وضعف القوى الشرائية، وتحتاج لمزيد من الوقت والجهد

النقد الموجه لهذه النظرية:

عدم توافر رؤوس الأموال الضخمة والأعداد الضخمة من المهندسين والفنيين والإداريين لتسير التنمية بالدفعة القوية.

٢ـ نظرية قارب النجاة:

بلاد العالم الغنية تعيش الآن داخل قارب نجاة مزدحم وبقية السكان يغرقون فى بحر من الجوع ولو سمحوا لهم بالتثبت بالقارب لغرق الجميع وأصحاب هذا الاتجاه ينادون بأن على الذين يغرقون أن يبذلوا هم أنفسهم جهدا كبيرا لإنقاذ أنفسهم أولا وذلك بتحديد النسل وأن تقطع عنهم المعونات فورا فى حالة عدم تحديد النسل.

النقد الموجه لهذه النظرية:

أنها تمثل فكرا خاطئا فنيا وأخلاقيا وغير إنسانى.

٣ـ نظرية النمو المتوازن:

إن التنمية يجب أن تهدف إلى التوازن بين الزراعة والصناعة فإن تخلف أى منها يعوق نمو الآخر والنمو فى الزراعة يساعد من ناحية أخرى على تصريف المنتجات الصناعية والنمو فى الصناعة يساعد على تصنيع المنتجات الزراعية وعلى تصريف المنتجات الزراعية فالسوق غير قابلة للتجزئة ويرى بعض الاقتصاديين أن النظرية امتداد لنظرية الدفعة القوية وأن عدم قابلية السوق للتجزئة يعنى أن المشروعات تساند بعضها بعضا وكل مشروع يخلق سوقا لتصريف المنتجات الأخرى وتقل مخاطر ضيق حجم السوق وتزيد الحافز على الاستثمار.

النقد الموجه لهذه النظرية:

عدم الاهتمام بالمضمون الاجتماعى وعدم الاهتمام باستخدام تكنولوجيا الإنتاج وأن التنمية تتم دون خطة شاملة أن التوازن يجب أن يكون بين الادخار والاستثمار للموارد المتاحة وبين ضغط الطلب وشدة الحاجة.

٤ـ نظرية النمو غير المتوازن:

تبدأ التنمية بالصناعات الثقيلة أو الزائدة ثم تنتشر التنمية بعد ذلك تلقائيا إلى قطاعات وصناعات أخرى أن كل خطوة ستؤدى إلى الخطوة التى تليها فالنمو فى بعض القطاعات سيحرض ويستدرج النمو فى قطاعات أخرى وبذلك تتتابع خطى التنمية. وخلاصة الفكرة أن حلقات هذه السلسلة من النمو غير المتوازن هى ذاتها جوهر عملية التنميو وحركتها نحو التقدم والنقد الذى يمكن أن يوجه لهذه النظرية افتراضها أن التنمية تعتمد على الأفراد وليس الدولة وأن التنمية تتم دون خطة شاملة وتعتمد على عفوية النشاط الخاص.

أى النظريات أفضل لمعالجة التخلف فى بلدان العالم النامى:

لا يمكن أن توصف أى من هذه النظريات بالمثالية[١]، لأن كثير من ظروف الدول النامية تختلف وتتفاوت وإذا نظرنا إلى ظروف الدول النامية حاليا لوجدنا أن الذين ينشدون التنمية والخروج من دائرة الفقر والتخلف قد اتجهوا اتجاهات تتفق ومقوماتهم ومواردهم والمتغيرات التى تحكمهم وتؤثر عليهم.

وإن الكثيرين اتجهوا إلى التنمية السياحية لسرعة تحقيق العائد الاقتصادى الذى يمكنهم من الخروج بالمجتمع إلى دائرة أوسع وأرحب وبإتاحة الفرص للأفراد من تحسين مستواهم المعيشى ودخولهم مع وضعنا فى الاعتبار أن ظروف كل مجتمع وحالته وإمكاناته تختلف من مجتمع لآخر تاريخيا واجتماعيا وماديا، وعلى المنظرين أخذ هذه الظروف فى الاعتبار عند تطبيق أو اختيار أحد هذه النظريات، فالمفاضلة بين نظرية وأخرى ترجع إلى طبيعة المرحلة التى يمروا بها والبيئة المعاشة والواقع الاقتصادى المحيط والمتغيرات العالمية التى أصبحت تؤثر سلبا وإيجابا على ظروف ومقدرات دول العالم النامى والوضع السياسى والثقافى والثقل العسكرى الذى توزن به الدولة وسلوكها ومنهجها وسياستها التى يمكن أن تصبح نبراسا هاديا لها فى عالم تتنازعه الأهواء.

---

(١) محمد السيد: نفس المرجع السابق.